خضمّ التاريخ البشري المتسارع، والمتدفق؛ ولكنها، أيضاً، وبالتأكيد، تعني لمن يعيشها ويعايشها ربع قرن حافلاً، وحياة كاملة، ومسيرة لأجيال مناضلة للشعب الفلسطيني، بطل أكثر الملاحم اعجازاً وشجاعة وخصباً وتنوّعاً في القرن العشرين. انها ثورة المستحيل، وأطول ثورة في العصر الحديث. ثورة أشبال الآر.بي.جي. مع أطفال الحجارة المقدّسة. ثورة المستحيل الذي أصبح ممكناً، وحقيقة تفرض وجودها على الجميع، الاعداء قبل الاصدقاء. ثورة الفدائي يخترق الزمن ويعيد بها دورة التاريخ الى الفلك الصحيح. ثورة الحجارة، وانتفاضة الشعب المؤمنة، والجماهير المكافحة المناضلة، تجترح المعجزات وتلهب الكون، فتنفجر الانتفاضات الشعبية تتلوها وتتبعها في مختلف الارجاء من هذا العالم، وترفع شعارات النصر مع هذه الجماهير الهادرة، تمثّل ارادة الشعوب، وتجسّد وجدانها وضميرها.

يا اخوتي؛ يا أحبتي؛

في مثل هذه الليلة منذ خمسة وعشرين عاماً، انطلقت الطلائع من شعبنا؛ «انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى». يدقون أبواب التاريخ وتتعملق هاماتهم لانتزاع الحرية لشعبنا. وكانت الطلقات الشجاعة التي دوّت في تلك الليلة ايذاناً بانبلاج الفجر الجديد. حينذاك، كانت المسألة تبدو للكثيرين مخاطرة، أو مجازفة، ولكنها كانت، بالنسبة الى الطليعة التي حملت، حينذاك، ارواحها على أكفّها، رهاناً لا مفرّ من الفوز به مع التاريخ. وبتواضع الثوار، وايمانهم، نقول بثقة: لقد كسبنا الرهان؛ «فان لله جنوداً اذا أرادوا أراد». صدق الله العظيم.

وعندما انطلقنا، قبل خمسة وعشرين عاماً، كان سلاحنا الايمان بالله والثقة بجماهير شعبنا المناضلة. ولقد كان شعبنا، على الدوام، هو المعلّم لقيادته. وهو القادر على السبق والمبادرة، يهبّ، دائماً، وفي اللحظة المناسبة، اللحظة الحرجة، ليحمي حلمه المقدس بالحرية، وليشكّل هذه الركيزة الجماهيرية التي لا تقهر، والتي استندت اليها الطلائع الفدائية عندما انطلقت في ليلة عربية مظلمة، قبل خمسة وعشرين عاماً، لتباشر صنع زمن جديد، ولتنير الطريق بمشاعل أجسادها ومن وقود دمائها.

وكان شعبنا، وثوارنا، خلال كل لحظة من لحظاتها، يصنعون التاريخ وينسجون اسطورة المقاومة والتضحية. فمن الاغوار الى الكرامة؛ ومن غزة الى الشقيف؛ ومن القدس الى صيدا؛ ومن الجولان الى القناة؛ ومن الخليل الى العرقوب؛ ومن نابلس الى النبطية؛ ومن عين الحلوة الى شاتيلا؛ ومن الفردان الى تونس؛ ومن ملحمة المشاركة في حرب تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٩٧٣ الى القتال الضاري سنة ١٩٧٨؛ الى الملحمة الاسطورية في بيروت سنة ١٩٨٢، حيث كانت البندقية الفلسطينية والمقاتل الفلسطيني يدافع بشراسة ويحمي مستقبل، وحلم، ووجود، شعبه، ويدافع عن كرامة وشرف أمّته، التي ارادها العدو نهاية للثورة ولمنظمة التحرير الفلسطينية، فأصبحت أطول حرب عربية ـ اسرائيلية، وتنقلب على رأسه لتصبح هزيمته الملتصقة به دوماً، وحتى الآن. ومنها الى الحصار المزدوج في طرابلس الذي فضح، على الرغم من مرارته، تفاصيل المؤامرة، بكامل ابعادها، على القضية، والشعب، والثورة.

خمسة وعشرون عاماً من عظمة الصمود الاسطوري في مخيمات صبرا وشاتيلا والبرج والبدّاوي ونهر البارد والرشيدية وعين الحلوة، التي قاتلت، وما زالت تقاتل، وهي تأبى ان تسلّم البندقية، وتأبى ان تُجَرّ الى حرب الاشقاء ومؤامرة امراء الطوائف، وكانت باعثا لبداية موجات الانتفاضة الاولى سنة ١٩٨٦، ومنها الى الصمود الرائع في الجنوب اللبناني، جنباً الى جنب مع القوى اللبنانية الوطنية والاسلامية، مؤكدة ارادتها الثورية بالالتصاق بهدفها الاساسي مع الارض التي باركها الله،